المحور السابع:
الهجرة النبوية

أولا: الأحداث التاريخية

1.رحلة الهجرة النبوية:

لما سمعت قريش بخروج أصحاب رسول الله ﷺ إلى المدينة حذرت خروج رسول الله ﷺ أيضا، فاجتمعوا في دار الندوة يتشاورون.. وبعد أخذ ورد رأوا أن يأخذ من كل قبيلة فتى شابًا جلدًا (قويا)، ثم يُعطى كل فتى منهم سيفًا صارمًا، فيضربوه به ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فيتفرق دمه بين القبائل، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا، وحددوا لذلك يوما معلوما. إلاّ أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ فأخبره بتلك المؤامرة، وأمره بالهجرة وأن لا ينام تلك الليلة في مضجعه. وفي يوم تلك الليلة جاء النبي ﷺ لبيت أبي بكر الصديق متقنعا – في حرّ الظهيرة– يخبر أبا بكر بأنه قد أُذن له بالخروج، فاستبشر أبو بكر وأعطاه إحدى راحلتيه وجهزها له. ثم انطلق رسول الله ﷺ إلى عليّ رضي الله عنه فأمره أن يتخلف بعده بمكة ريثما يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، وقال له مطمئنا إياه: "**لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم**". ولما جاءت تلك الليلة التي هاجر فيها رسول الله اجتمع المشركون على باب رسول الله ﷺ يتربصون به ليقتلوه، ولكنه عليه الصلاة والسلام خرج من بينهم – وقد أُلقي عليهم سنة من النوم– وهو يتلوا قوله تعالى { **وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ**} [يس/ 9]، وانطلق رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر إلى غار ثور، فمكثا فيه ثلاثة أيام، وكان يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر ويخبرهما أخبار مكة، أما عامر بن فهيرة (مولى أبي بكر) فكان يروح عليهما بالغنم فيطعمهما من ألبانها ويخفي أثر عبد الله، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بالطعام كل مساء.

أما المشركون فقد انطلقوا يبحثون في كل مكان، حتى وصلوا – في طريق المدينة– إلى غار ثور، وسمع الرسول وصاحبه أقدام المشركين من حولهم فأخذ الروع أبا بكر وهمس يحدث النبي ﷺ "لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا"، فأجابه رسول الله ﷺ "**ما ظنك باثنين الله ثالثها**". ولما انقطع الطلب عنهما خرجا، بعد أن جاءهما عبد الله بن أُريقط (وكان رجلا مشركا ماهرا بالطريق)، بعد أن استأجراه ليدلهما على الطريق الخفية الى المدينة، وواعدهما مع الراحلتين عند الغار ، فسار بهما غربا طريق الساحل بعيدا عن الطرق المعتادة.

2.في قباء: وصل رسول الله ﷺ قباء يوم الاثنين (8ربيع الأول سنة 14 من النبوة) فاستقبله منْ فيها وأقام عندهم بضعة أيام، وهناك أدركه علي بن أبي طالب رضي الله عنه. أسّس رسول الله ﷺ أول مسجد في الإسلام وهو "قباء" وصَلَى فيه وقد وصفه الله تعالى في سورة التوبة: "**لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (108)**".

3.**الوصول إلى المدينة:** بعد الظهيرة من يوم الجمعة وصل رسول الله ﷺ ومن معه الى يثرب، وكان يوما تاريخياً، فقد خرج كل ساكنيها مستقبلين رسول الهدى. وجاء الأنصار كل يمسك زمام راحلته يرجو النزول عنده، حتى بركت راحلته على أرض لغلامين يتيمين من بني النجار[1] فقال رسول الله ﷺ:"**ههنا المنزل إن شاء الله**". ومكث رسول الله في بيت أبي أيوب الأنصاري أياماً.

[1] بنوا النجار هم أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

4.أسس المجتمع المدني:

تعتبر المدينة المنورة أول دار للإسلام والمسلمين، ولهذا بدأ رسول الله ﷺ بعد هجرته مباشرة ببناء الأسس التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي هي:

أ/ بناء المسجد النبوي: سبق الذكر أن مكان مسجد رسول الله ﷺكان لغلامين يتيمين من الأنصار، وقد اتخذه سعد بن زرارة مصلى قبل هجرة النبي ﷺ، ولهذا أمر رسول الله ببناء المسجد فيه من اللبِن والحجارة وجعل قبلته إلى بيت المقدس وكان بجانبه بيوت هي حجرات أزواجه ﷺ .كان المسجد بالإضافة إلى إقامة الصلوات مكانا جامعا يلتقي فيه المسلمون لأخذ تعاليم الإسلام والتوجيهات النبوية، ومركزا للمشورة وإدارة شؤون البلاد، كما أنه ملاذا للفقراء واللاجئين.

ب/ المؤاخاة بين المسلمين: آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار على الحق والمساواة وعلى أن يتوارثوا بينهم بعد الممات فمثلا جعل أبا بكر أخا لخارجة بن زهير، وعمر أخا لعتبان بن مالك، وجعفر أخا لمعاذ بن جبل .. وهكذا إلى أن نزل قوله تعالى –بعد غزوة بدر–: { **وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ** } [الأنفال/ 75] فنسخت ما كان قبلها، فانقطع الميراث وبقي عقد الأخوة. ومعنى هذا الإخاء أن تذوب عصبيات الجاهلية، وتسقط فوارق النسب واللون والوطن، فلا يكون أساس الولاء والبراء إلا الإسلام . وقد امتزجت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة وإسداء الخير في هذه الأخوة، وملأت المجتمع الجديد بأروع الأمثال .

ج/ وثيقة المدينة (الميثاق الإسلامي): دخل في دين الله تعالى عامة أهل المدينة من العرب إلا أفرادا من الأوس، وهنا كتب رسول الله ﷺكتابا بين المهاجرين والأنصار من جهة، وعاهد فيه اليهود وشرط لهم واشترط عليهم من جهة أخرى:

وفيما يلي بنوده ملخصة:

هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم :

1. إنهم أمة واحدة من دون الناس .
2. المهاجرون من قريش على رِبْعَتِهم[1] يتعاقلون بينهم، وهم يَفْدُون عَانِيهم[2] بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
3. وإن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحًا[3] بينهم أن يعطوه بالمعروف في فِداءٍ أو عقْلٍ[4] .
4. وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم، أو ابتغى دَسِيعة[5] ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين.
5. وإن أيديهم عليه جميعًا، ولو كان وَلَدَ أحدِهِم .
6. ولا يقتلُ مؤمنٌ مؤمناً في كافرٍ .
7. ولا ينصرُ كافرًا على مؤمنٍ .
8. وإنّ ذمة الله واحدةٌ يُجيرُ عليهمْ أدْنَاهُم .
9. وإن من تَبِعنَا من يهُودَ فإنّ لهُ النصرَ، غيرَ مظلُومينَ ولا متناصرينَ عليْهم .
10. وإنّ سِلْمَ المؤمنينَ واحدةٌ؛ لا يُسَالَمُ مؤمنٌ دونَ مؤمنٍ في قتال في سبيل الله إلا على سواءٍ وعدلٍ بينهم .

---

[1] الربعة: هي الحالة التي جاء الإسلام وهم عليها.
[2] العاني: هو الأسير.
[3] المُفرح: هو المُثقل بالديون الكثير العيال.
[4] العقل: هي الدية، والدية هي المال الذي يعطيه القاتل (أو عشيرته) لأهل المقتول مقابل عدم تطبيق القصاص.
[5] أي: طلب دفعا (أو عطية) على سبيل الظلم.

11 . وإنّ المؤمنين يُبِيءُ[1] بعضهم على بعض بما نَالَ دماءَهُم في سبيل الله .

12 . وإنه لا يجيرُ مشركٌ مالًا لقريش ولا نفسًا، ولا يَحُولُ دُونَهُ على مُؤمنٍ .

13 . وإنه من اعْتَبَطَ[2] مؤمنًا قتلًا عن بينة فإنه قَوَدٌ[3] به إلاّ أن يرضى وليّ المقتولِ .

14 . وإن المؤمنينَ عليه كافةٌ، ولا يحلُّ لهم إلاّ قيامٌ عليه .

15 . وإنه لا يحلّ لمؤمن أن يَنصرَ مُحدِثًا ولا يُؤويهِ، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يُؤخذ منه صَرْفٌ ولا عَدْلٌ .

16 . وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإن مردّه إلى الله عز وجل وإلى محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم بنود معاهدته صلى الله وعليه وسلم مع اليهود:

1- إنّ يهود بنى عوف أمّةٌ مع المؤمنين، لليهودِ دينُهُم وللمسلمين دينُهم مواليهم وأنفُسُهُم، وكذلك لغير بنى عوف من اليهود[4] .

2-وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم .

3- وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة .

4- وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دُونَ الإثمِ .

5- وإنه لم يَأْثم امرُؤٌ بحليفِهِ .

6- وإن النصر للمظلوم .

7- وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

8-وإن يثرب حرامٌ جوفُها لأهل هذه الصحيفة .

9- وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدثٍ أواشتجار يُخافُ فسادُهُ فإن مردَّه إلى الله، وإلى محمد رسول الله ﷺ.

10- وإنه لا تُجارُ قريش ولا من نصرها .

11- وإن بينهم النصرَ على من دَهَم يثرب . . على كل أناس حصتُهُم من جانِبِهِم الذي قِبَلَهُم .

12- وإنه لا يحُولُ هذا الكتاب دون ظالم أو آثم .

ثانيا: العبر والعظات (الفوائد):

1. اختيار النبي ﷺ لأبي بكر الصديق رفيقا له واستبطاؤه دليل على محبته له وعلى عظم قدره ومكانته.
2. تضحية أبي بكر بالنفس والمال والولد والبنت والخادم وراعي الغنم في سبيل خدمة رسول الله ﷺ في هذه الرحلة الشاقة.
3. الأخذ بالأسباب من الإيمان بالله وهو أساس التوكل على الله تعالى، ومن هذه الأسباب:
   - ترك علي في فراشه ﷺ
   - استعمال الدليل في معرفة الطريق.
   - الاختباء في الغار ثلاثة أيام.

[1] من البواء: وهو المساواة.
[2] اعتبطه: أي قتله بدون سبب يوجب القتل.
[3] أي قصاص.
[4] هم: (بني النجار، بني الحارث، بني ساعدة، بني جُثم، بني الأوس، بني ثعلبة)

- السرية التامة.
- تغيير الطريق اتجاه الساحل إلى يثرب.

4. رغم كل الأوصاف التي أطلقها الكفار على محمد ﷺ إلا أنه حرص على آداء الودائع التي كانت عنده قبل هجرته وهذا دليل على اعترافهم بأمانته وإنما كذبوه تكبرا واستعلاء.
5. دور الشباب الفعّال في خدمة الدين ونجاح الدعوة من خلال نشاط عبد الله وأخته أسماء في توفير الطعام وتحسس الأخبار.
6. العناية الإلهية لم تتخل عن النبي الكريم وذلك من خلال معجزة خروجه من بيته أمام أعين قريش وهو يقرأ ((**وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ**)) يس/ 9.
7. قيام الأخوة الإيمانية على عقيدة التوحيد، وهي الأرضية التي ذابت عليها كل الخلافات والجاهليات.
8. التعاون والتناصر القائمين على العدل والمساواة هما أساس المجتمع السليم.
9. وثيقة المدينة دليل قاطع على أن للمسلمين دولة منظمة، وقائمة على دستور حياتي ينظم أفراد المجتمع فيما بينهم وبين غيرهم (اليهود والنصارى).
10. **القواعد المستفادة من وثيقة المهاجرين والأنصار**:

أ/ المسلمون أمة واحدة ولا مكان للفوارق والمميزات.

ب/ أهمية مبدأ التكافل والتضامن بين أفراد المجتمع الإسلامي

ج/ حماية الحقوق الأساسية في المجتمع كحق التجارة والأمن والمساواة..

د/ الرجوع الى الله ورسوله عند التحاكم، وهذا واجب المسلمين الى قيام الساعة.

11. **القواعد المستفادة من وثيقة المعاهدة مع اليهود**[1]:

أ/ "حرية المعتقد في الإسلام"[2]: جاءت الإشارة إليه في الوثيقة في: (لليهود دينهم وللمسلمين دينهم)

ب/ "حرية التجارة": (على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم).

ج/ "التعاون في حماية الوطن حالة الحرب"[3] (وإن اليهود ينفقون مع المسلمين ما داموا محاربين)، وذلك إذا حدث هجوم خارجي على المدينة فإن الجميع بمقتضى حق المواطنة يدافع عنها عسكريا وماديا، ولا يصح أن يجير أحد من أهل هذه العاهدة أحدا من قريش أو أحدا نصرها.

د/ "نصرة المظلوم": (إن النصر للمظلوم) و(لم يَأْثم امرُؤٌ بحليفِهِ)، يشير الى مبدأ العدل التام وتطبيق حقوق الإنسان سواء كان المظلوم مسلما أو يهوديا فإن له النصرة وعلى ظالمه العقوبة، كما أن كل طرف يتحمل مسؤوليته الكاملة وحده وليس على حلفائه.

هـ/ "التحاكم لله ورسوله": (ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدثٍ أو اشتجار يُخافُ فسادُهُ فإن مردَّه إلى الله ورسوله) فالمرجعية الواحدة هي التي تكفل الحقوق والحريات في المجتمع الواحد.

[1] يهود العرب من قبيلتي الأوس والخزرج وهي تعم بني قينقاع وبني النظير وبني قريظة.
[2] مأخوذة من قوله تعالى: ((لا إكراه في الدين)) البقرة / 256
[3] مأخوذة من البند الثالث، والسابع، والعاشر، والحادي عشر.